

التطرف الديني وصدمة الموت

<http://arabpsynet.com/Documents/DocQuassimExtremism&Death.pdf>

أ.د. قاسم حسين صالح
مؤسس ورئيس الجمعية النفسية العراقية
qassimsaliyh@yahoo.com



الجزء الأول

حقائق.. للتأمل

- اذا استثنينا ضحايا الحربين العالميتين، فان ارقام ضحايا التطرف الديني هي الاعلى في تاريخ الحروب.
- المسيحيون وصفوا المسلمين بانهم كفار، والمسلمون وصفوا المسيحيين بانهم كفار.. وقتل الملايين من الطرفين (الحروب الصليبية مثالا).
- قامت حروب دموية رهية بين المسيحيين الكاثوليك والمسيحيين البروتستانت (ايرلندا نموذجا)، وقبلها ارتكب المسيحيون البيزنطيون مذابح بشعة بحق المسيحيين في مصر.. بسبب التعصب المذهبي.
- نشبت حروب بين اتباع المذاهب الخمسة في الدين الاسلامي.. ضحاياها ملايين، آخرها الاحتراب بين الشيعة والسنة في العراق (2006 – 2008).
- ارتكب تنظيم دولة الخلافة الاسلامية في العراق والشام مجازر وفضائع بحق الايزيديين والمسيحيين والتركمان والشبك والشيعة والسنة.
- وعلى عكس المنطق القائل بأننا كلما تقدمنا في الزمن ازدادنا تطورا، فان نهايات القرن العشرين شهدت انتشارا واسعا للتعصب الديني والفكر المتطرف الذي صراعات مذهبية بين السنة والشيعة في شرق المنطقة العربية، وصارت مرتبطة باذهان الناس في العالم بالتطرف الديني.

تساؤل:

تختلف الأديان وتختلف المذاهب داخل الدين الواحد، لكنها تشترك في استهداف الآخر بقتله لاختلافه في معتقد. فمن اين تأتي القوة للإنسان بقتل الآخر لمعتقد يبدو لآخرين سخيفا؟!

توطئة - 1

تتحدث المقالة عن الفوضى المعرفية والمنهجية بخصوص مفهوم (التطرف) الذي سوقته اجهزة الاعلام الغربية الى الثقافة العربية في مصطلحين هما:

(Muslim extremism, Radical extremist movements)

اذا استثنينا ضحايا الحربين العالميتين، فان ارقام ضحايا التطرف الديني هي الاعلى في تاريخ الحروب.

بنت حروب بين اتباع المذاهب الخمسة في الدين الاسلامي.. ضحاياها ملايين، آخرها الاحتراب بين الشيعة والسنة في العراق (2006 – 2008).

نهايات القرن العشرين شهدت انتشارا واسعا للتعصب الديني والفكر المتطرف الذي صراعات مذهبية بين السنة والشيعة في شرق المنطقة العربية، وصارت مرتبطة باذهان الناس في العالم بالتطرف الديني.

اذا كان " الله " واحدا، فلماذا كوّنت الأديان صورا خفية مختلفة عنه، مع انها من عنده بحسب اتفاقتها؟

هل اختلاف منظورات الأديان بخصوص طبيعة الله نجم عنه اختلاف منظوراتها بخصوص الطبيعة البشرية؟ أم العكس.. اي انهم اسقطوا

توطئة - 2:

تساؤلات بخصوص الدين من موقفين متضادين:

الاول:

- * اذا كان " الله " واحدا ، فلماذا كوّنت الأديان صورا ذهنية مختلفة عنه، مع انها من عنده بحسب اتفاقها؟
- * هل اختلاف منظورات الاديان بخصوص طبيعة الله نجم عنه اختلاف منظوراتها بخصوص الطبيعة البشرية؟ ام العكس.. اي انهم اسقطوا على الله تناقض الصفات في الطبيعة البشرية؟
- * لماذا ينسف الدين الجديد الذي قبله؟ وهل اتباع الدين القديم ملزمون أن يؤمنوا بالدين الجديد ؟ او أن يتخذ منهم موقفا معاديا؟ او ينكر عليهم بعض ما يؤمنون به؟

الثاني.. الضد:

- + كيف يمكن للطبيعة المادية ان تخلق كائنا بشريا بهذه القدرات العقلية الخارقة من خلية في غاية البساطة؟
- + كيف يمكن لهذا الكون الممتلئء بالهائل من المتضادات الكمية والنوعية ان يسير بهذا النظام ما لم تكن هنالك قوة خارقة تدير اموره؟
- + لماذا يكون تفكير اللادينيين مقيدا بحدود ما يعدونه منطقا، فيما هنالك امور لا يستوعبها منطق ولا يدركها عقل.. بما فيها عقلهم العلمي الذي ما كان يصتق ان الانسان يمكن ان يصل الى القمر؟!
- + في الهند هنالك اكثر من مئة (رب)، واكثر من 400 مذهب ، وسكانها اكثر من مليار، ومع ذلك لا يوجد لديهم تطرف ديني بالحدة التي يوجد بها في البلدان العربية مع ان ربها واحد ودينها واحد.. فلماذا؟

ماذا يعني التطرف؟

تحديد مفهوم

- التطرف يعني حرفيا دفع او سوق (شيء ما) الى ابعد من حدوده، ويجري تداوله بمجالي السياسة والدين لوصف الاشخاص الذين يتبنون ايديولوجيات تحمل افكارا غير مقبولة اجتماعيا، وتستخدم العنف والتخريب لتحقيق اهدافها، فيما يعني سيكولوجيا عدم الاعتدال والافراط في الافعال والافكار.
- المتطرف.. هو الشخص الذي يفضل او يلجأ الى اساليب تتصف بعدم الاعتدال وعدم القدرة على تسوية الامور مع الاخر، ويفضل او يلجأ الى اساليب او سلوك متعصب، او محافظ لايعد الحدود، وبخاصة في الرادكالية السياسية.
- ويعني في النصين الانجليزيين:

1. (Government, Politics & Diplomacy) a person who favors or resorts to immoderate, uncompromising, or fanatical methods or behavior, esp. in being

على الله تناقض الصفات في الطبيعة البشرية؟

لماذا ينسف الدين الجديد الذي قبله؟ وهل اتباع الدين القديم ملزمون أن يؤمنوا بالدين الجديد ؟ او أن يتخذ منهم موقفا معاديا؟ او ينكر عليهم بعض ما يؤمنون به؟

كيف يمكن لهذا الكون الممتلئء بالمائل من المتضادات الكمية والنوعية ان يسير بهذا النظام ما لم تكن هنالك قوة خارقة تدير اموره؟

لماذا يكون تفكير اللادينيين مقيدا بحدود ما يعدونه منطقا، فيما هنالك امور لا يستوعبها منطق ولا يدركها عقل.. بما فيها عقلهم العلمي الذي ما كان يصتق ان الانسان يمكن ان يصل الى القمر؟!

المتطرف.. هو الشخص الذي يفضل او يلجأ الى اساليب تتصف بعدم الاعتدال وعدم القدرة على تسوية الامور مع الاخر، ويفضل او يلجأ الى اساليب او سلوك متعصب، او محافظ لايعد الحدود، وبخاصة في الرادكالية السياسية.

توجد طائفة اسلامية او مسيحية تطلق على نفسها (متطرفة)، ولا يوجد حزب سياسي يصف نفسه (متطرفا).. يمينيا كان ام يساريا!

politically radical.

2. Political agendas perceived as extremist often include those from the far left or far right, as well as radicalism, reactionism, fundamentalism, and fanaticism.

- احصائياً.. المتطرف هو الذي يقع على نهايتي طرفي منحى التوزيع الاعتدالي لكل ظاهرة اجتماعية، فيما يعني سياسياً: اليمين المتطرف واليسار المتطرف، ويعني دينياً: المتشدد في الدين، والملحدين.

تعليقات:

- لا توجد طائفة اسلامية او مسيحية تطلق على نفسها (متطرفة)، ولا يوجد حزب سياسي يصف نفسه (متطرفاً).. يمينياً كان ام يسارياً!
- يستخدم التطرف كتقنية لتحقيق هدف سياسي من قبل حكومات لتمرير قوانين معينة او شن حروب.
- يوجد التطرف الديني بالمجتمعات المتحضرة ايضا التي فصلت الدين عن الدولة. مثال:
 - خرجت تظاهرة بالمانيا تصف المسلمين فيها بالحيوانات،
 - وارتكب نرويجي متطرف في 22 تموز 2011 مجزرة رهيبه بقتل اطفال وشبان بسبب كرهه للمسلمين والاشتراكيين.

مفارقات.. في اقوال

- "التطرف في الدفاع عن الحرية ليس بالردية، والاعتدال في مسعى العدالة ليس بالفضيلة" باري غولدوتير .. في مؤتمر 1964 الجمهوري.
- "في أحسن الأحوال هذا الوصف التشخيصي لا يدل على شيء محسوس عن الأشخاص الموصومين به، وفي أسوأ الأحوال يرسم صورة خاطئة". العالم جيروم هيميلستاين.
- " الأماكن الأسخن في الجحيم محجوزة لأولئك الذين يظهر حيادهم أثناء الأزمات الأخلاقية، " جون كندي في اعادة صياغة (من دانتي، الجحيم).

نماذج:

- (دبي) - رويترز - أفاد مركز سايت المتابع للمواقع الاسلامية أن فرع تنظيم الدولة بالسعودية يقول إنه يرغب في تطهير شبه الجزيرة العربية من الشيعة وحث الشباب بالمملكة على الانضمام اليه.
- أعلن التنظيم مسؤوليته عن تفجيرين انتحاريين في 22 و 29 مايو آيار 2015 بمسجدين للشيعة بشرق السعودية.. وقتل 25 شخصا في الهجومين.
- أمر تنظيم الدولة الاسلامية أتباعه في كل مكان بقتل "أعداء الاسلام" وخاصة الشيعة.
- وصف أبو بكر البغدادي العائلة الحاكمة في السعودية بانهم "كلاب الحراسة" للغرب واسرائيل، وإن أعداء الاسلام ومن بينهم الشيعة "حلفاء للشيطان".
- اشار تقرير معهد الاقتصاد والسلام (مؤشر الارهاب العالمي 2014) الى ان وتيرة الإرهاب تتصاعد، وكذلك اتساعه وشموليته، وأن العراق هو الأكثر تأثراً بالإرهاب والأعلى رقماً في

الأماكن الأسخن في الجحيم محجوزة لأولئك الذين يظهر حيادهم أثناء الأزمات الأخلاقية، " جون كندي

وما يشغل تفكيرنا هو: هل هناك سبب واحد، أم أسباب مختلفة يدفع / تدفع الناس الى أن يكونوا متدينين؟

التدين " الغرضي " ويعني التوجه نحو الدين بوصفه وسيلة للحصول على اشياء اخرى ذات قيمة

يكون الدافع هنا تحقيق منفعة تهدف الى خدمة المحافظة على احترام الذات، ويكون الوجدان الديني فيه غير ناضج.

التدين الباحث عن الحقيقة. ويعني التوجه نحو الدين بوصفه سفر دائم من أجل فهم القضايا الاخلاقية والروحية المعقدة، والمصوب بحادة بمعتقد ان الاجابات السريعة والبسيطة، خاطئة تماما".

التدين الحقيقي. ويعني التوجه نحو الدين الذي يحاول الناس عن طريقه أن يعيشوا دينهم ويستدخلوا تعاليمه

ومن هذا المنظور فإن الدين

عدد ضحاياه.. بسبب التطرف.

- ان الناس سيجدون انفسهم في النهاية بالاختيار بين الموت على الشهادة "الايمان" او الموت على الكفر.(ابو بكر ناجي في كتابه ادارة التوحش).

الجزء الثاني

الناس في الدين ..ثلاثة اصناف.

لسنا معنيين هنا بما يخص علماء الدين وفقهاء الشريعة،انما الذي يهمنا — بوصفنا سيكولوجيين — معرفة علاقة الفرد بالدين..أو مقاصده منه، والاسباب التي تساعدنا على فهم العلاقة بين الدين والتطرف (التعصب). وما يشغل تفكيرنا هو: هل هناك سبب واحد، أم اسباب مختلفة يدفع/ تدفع الناس الى أن يكونوا متدينين؟

تشير الدراسات المعنية بهذه " الاشكالية " الى ان الناس يكونون متدينين لأسباب متعددة وليس لسبب واحد..ويمكن تصنيفهم على النحو الآتي:

1. التدين " الغرضي ". ويعني التوجه نحو الدين بوصفه وسيلة للحصول على اشياء اخرى ذات قيمة . فالذهاب الى اماكن العبادة يوفر فرصة لتكوين صداقات، يمكن ان تفيد في أوقات الازمات، أو حين يكون الشخص بحاجة الى مساعدة أو اسناد اجتماعي. كما ان هذا النوع من التدين قد يحقق لصاحبه مكانة اجتماعية أو اعتبارية أو وظيفية . وبهذا يكون الدافع هنا تحقيق منفعة تهدف الى خدمة المحافظة على احترام الذات، ويكون الوجدان الديني فيه غير ناضج.

2. التدين الباحث عن الحقيقة. ويعني التوجه نحو الدين بوصفه سفر دائم من أجل فهم القضايا الاخلاقية والروحية المعقدة، والمصحوب عادة بمعتقد ان الاجابات السريعة والبسيطة ، خاطئة تماما".

3.التدين الحقيقي. ويعني التوجه نحو الدين الذي يحاول الناس عن طريقه أن يعيشوا دينهم ويستدخلوا تعاليمه. ومن هذا المنظور فإن الدين ليس وسائل لتحقيق بعض الاهداف ، وليس رحلة من أجل البحث عن حقيقة، انما هو غاية بحد ذاته ، يكون فيه الوجدان الديني ناضجا" ، ويكون الانسان فيه قد سلم له نفسا" طوعا" لذاته وليس من أجل استعماله.

وقد تسأل الآن: من من هذه التوجهات الثلاثة في الدين، هو المتطرف أو الأكثر تعصبا"؟. لنبدأ بالتوجه الثالث منها " التدين الحقيقي " الذي يؤمن اصحابه بأن الدين ليس وسيلة لتحقيق غاية، ولا هو البحث عن حقيقة الروح والاخلاق والحقيقة، أنما هو الغاية النهائية للإنسان.

ان معظم الاديان تدعو الى التسامح، والافراد في هذا النوع من التدين-الحقيقي- يسعون ويتمنون

ليس وسائل لتحقيق بعض الاهداف . وليس رحلة من أجل البحث عن حقيقة، انما هو غاية بحد ذاته ، يكون فيه الوجدان الديني ناضجا" ، ويكون الانسان فيه قد سلم له نفسا" طوعا" لذاته وليس من أجل استعماله.

وما يميزهم أن الوجدان الديني عندهم يكون ناضجا، يثير لديهم الشعور بالمتعة ويحول مشاكل الحياة من سياقتها الروتينية الى منظور أكثر شمولية واعمق معنى

اما الصنف الأول من المتدينين، الذين يتخذون من الدين وسائل للحصول على اشياء اخرى من قبيل الصداقة والمكانة والاسناد في الاوقات الصعبة، فإن هؤلاء يميلون الى ان يكونوا الأكثر تطرفا، والأقل نضجا في الوجدان الديني.

فيما يخص الدين الاسلامي ،هناك ثلاثة اصناف اخرى ، الأول ما اصطلح على تسميته بـ(الاسلام السياسي)والثاني جماعة (القاعدة و داعش)،والثالث هو السلفية السنية والشيعية

أن الصنفين الأول والثاني يمكن أن ينضوا تحت صنف (التدين الغرضي) لأنهما يستخدمان الدين وسيلة لتحقيق غايات اخرى

وفق هذا المنظور يكون

ان يحققوا نوعاً من التكامل بين معتقداتهم الدينية وهوياتهم وسلوكهم. وعليه، فأنا نتوقع من هذا الصنف ان يكونوا الأقل تطرفاً بين المتدينين. وتشير الدراسات الى ان هذا الصنف من المتدينين ليسوا أكثر تعصباً حتى من اولئك الذين يصفون انفسهم بأنهم غير متدينين. وما يميزهم أن الوجدان الديني عندهم يكون ناضجاً، يثير لديهم الشعور بالمتعة ويحول مشاكل الحياة من سياقها الروتيني الى منظور أكثر شمولية واعمق معنى..فيكون ثقلها أخف عليهم موازنة (مقارنة) حتى بغير المتدينين.

والصنف الثاني من المتدينين، أي الذين ينظرون الى الدين بوصفه رحلة بحث وتقصي دائم لفهم قضايا روحية واخلاقية معقدة، فأنتهم يكونون من النوع المنفتح عقلياً على مسائل أخرى أيضاً فكرية أو علمية أو ثقافية. وهذا الصنف من المتدينين هم الأقل ميلاً نحو التطرف.

اما الصنف الأول من المتدينين، الذين يتخذون من الدين وسائل للحصول على أشياء أخرى من قبيل الصداقة والمكانة والاسناد في الاوقات الصعبة، فأن هؤلاء يميلون الى ان يكونوا الأكثر تطرفاً، والأقل نضجاً في الوجدان الديني.

ان هذه الأصناف الثلاثة من المتدينين موجودة في معظم الأديان. ولكن فيما يخص الدين الاسلامي، هنالك ثلاثة اصناف اخرى، الأول ما اصطلح على تسميته بـ(الاسلام السياسي) والثاني جماعة (القاعدة و داعش)، والثالث هو السلفية السنية والشيعية التي تعتمد التصنيف والتميط والهوية المذهبية في التعامل مع الآخر.

ومع أن الصنفين الاول والثاني يمكن أن ينضويا تحت صنف (التدين الغرضي) لأنهما يستخدمان الدين وسيلة لتحقيق غايات أخرى، إلا أن " الغايات " لدى هذه الأطراف داخل هذا الصنف تحكمها فروق نوعية. فالغايات هنا سياسية وليست اجتماعية من قبيل تكوين صداقات، بل السعي الى تحقيق زعامات تشعب الحاجة الى السلطة والسيطرة، ومصالح اقتصادية ترفع صاحبها درجات في سلم المكانات في الهرم الاقتصادي للمجتمع.

وعلى وفق هذا المنظور يكون المتدينون السياسيون أو (السياسيون الدينيون) هم الأكثر تطرفاً "تعصباً" بين الناس، ليس فقط لأنهم يستخدمون الدين وسيلة لتحقيق أهداف أخرى، بل ولأن التنافس السياسي وصراع المصالح يضطرهم الى أن يكونوا متعصبين.

ولكن هل يصح هذا التعميم على الأحزاب الاسلامية؟ أعني القول بأن كل الأفراد المنتمين الى أحزاب اسلامية هم متعصبون..متطرفون، أو هم الأكثر تعصباً او تطرفاً بين السياسيين؟.

الموضوعية العلمية لا تميل الى التعميم في مثل هذه الأمور، فقد يكون بين الأحزاب الاسلامية أفراد أقل تطرفاً من أفراد ينتمون الى أحزاب علمانية مثلاً. إلا أننا نرى أن العامل الحاسم في الحكم على تطرف (تعصب) هذا الحزب او ذلك هو انفراده بالسلطة، مصحوباً بعامل نفسي هو توليد الشعور بالاحباط لدى الأطراف او الجماعات الأخرى التي أعاقها أو حرّمها أو حال دون تحقيقها لأهداف

المتدينون السياسيون أو (السياسيون الدينيون) هم الأكثر تطرفاً "تعصباً" بين الناس، ليس فقط لأنهم يستخدمون الدين وسيلة لتحقيق أهداف أخرى، بل ولأن التنافس السياسي وصراع المصالح يضطرهم الى أن يكونوا متعصبين.

الموضوعية العلمية لا تميل الى التعميم في مثل هذه الأمور، فقد يكون بين الأحزاب الاسلامية أفراد أقل تطرفاً من أفراد ينتمون الى أحزاب علمانية مثلاً

أننا نرى أن العامل الحاسم في الحكم على تطرف (تعصب) هذا الحزب او ذلك هو انفراده بالسلطة

فلا فرق في التطرف بين حزب "ماركسي" وحزب ديني اذا كان كلاهما يسعى الى الحصول على السلطة والانفراد بها وتهميش الآخر أو حد من مخالفه الرأي بأنه محد

ان الذين لديهم ميول تعصبية (تطرف) ينخرطون لحادة في أحزاب أو حركات متطرفة، سواء كانت دينية أم علمانية، يمينية أم يسارية بالمصطلح السياسي

أن الدين اذا توحد بالتطرف (التعصب) ودخل شأها سيفه في الساحة السياسية فإنه يضطر الآخرين

وحاجات مشروعة.

ان الأحزاب السياسية كانت قبل زلزال انهيار الاتحاد السوفياتي تسعى جميعها الى تحقيق هدف واحد هو (الحصول على السلطة)، وأن تعصبها لهذا الهدف بالذات هو الذي أسقط تلك التي وصلت الى السلطة، وهو نفسه " التطرف " الذي لن يمكن تلك التي تسعى للحصول عليها، مثل (داعش) التي تهدف الى اقامة (دولة الخلافة الإسلامية) وتدعي بأنها تحكم بأمر الله وتنفذ ارادته، أو الأحزاب اليسارية المتطرفة التي ما تزال تريد اقامة دولة البرولتاريا .فلا فرق في التطرف بين حزب "ماركسي " وحزب ديني اذا كان كلاهما يسعى الى الحصول على السلطة والانفراد بها وتهميش الآخر او عدّ من يخالفه الرأي بأنه عدو، او تبنيه شعار جورج بوش " من لم يكن معنا فهو ضدنا".

وثمة معلومة سيكولوجية مفادها: ان الذين لديهم ميول تعصبية (تطرف) ينخرطون عادة في أحزاب أو حركات متطرفة، سواء كانت دينية أم علمانية، يمينية أم يسارية بالمصطلح السياسي. غير أن احداث الأفية الثالثة أثبتت أن الدين اذا توحد بالتطرف (التعصب) ودخل شأها سيفه في الساحة السياسية فانه يضطر الاخرين الى أن يشهروا سيوفهم او يتمترسون في خنادقهم..وغالبا ما تكون الواقعة!

ان التطرف في الدين يزيّن لصاحبه الزعم انه وحده على حق، وينعت من يخالفه الرأي : بالكفر ، والمروق ، والزندقه ، والفسوق..، وان التطرف بالعلمانية يجعل صاحبه يزعم انه وحده على حق، وينعت من يخالفه الرأي: بالرجعية، والتخلف، والانغلاق، والدوغماتيه، والايمان بوهم. ومع تناقضهما العقائدي، فان كليهما يزدريان الغير، وكليهما عدوانيان حاقدان منتقمان، يبيحان لنفسيهما حق اخضاع الآخر واباحة سفك دمه ان رفض. فاذا كان الدين من الله، فهل يعقل ان يأمر بقتل اناس هو خلقهم ليعيشوا؟. واذا كان العلماني الالهادي رأى ان " الله " وهما، وان العقل هو الحقيقة، فلماذا يرتكب الخطأ نفسه والجريمة نفسها مع انه يعدّ نفسه الاكثر وعيا" والأرقى نبلا"؟.

الجواب يكمن في..التطرف..وأقبحه..ان يوظف الدين وسيلة لصناعة الموت!.

الى أن يشهروا سيوفهم او يتمترسون في خنادقهم..وغالبا ما تكون الواقعة!

ان التطرف في الدين يزيّن لصاحبه الزعم انه وحده على حق، وينعت من يخالفه الرأي : بالكفر ، والمروق ، والزندقه ، والفسوق..

ان التطرف بالعلمانية يجعل صاحبه يزعم انه وحده على حق، وينعت من يخالفه الرأي: بالرجعية، والتخلف، والانغلاق، والدوغماتيه، والايمان بوهم.

فاذا كان الدين من الله، فهل يعقل ان يأمر بقتل اناس هو خلقهم ليعيشوا؟.

اذا كان العلماني الالهادي رأى ان " الله " وهما، وان العقل هو الحقيقة، فلماذا يرتكب الخطأ نفسه والجريمة نفسها مع انه يعدّ نفسه الاكثر وعيا" والأرقى نبلا"؟.

*** **



تسبحة علوم النفس العربية

نحو لياقة نفسانية افضل



مؤسسة العلوم النفسية العربية

معا... نذهب أبعد